كــزهــر اللــوز أو أبعـــــــد

محمود درويش

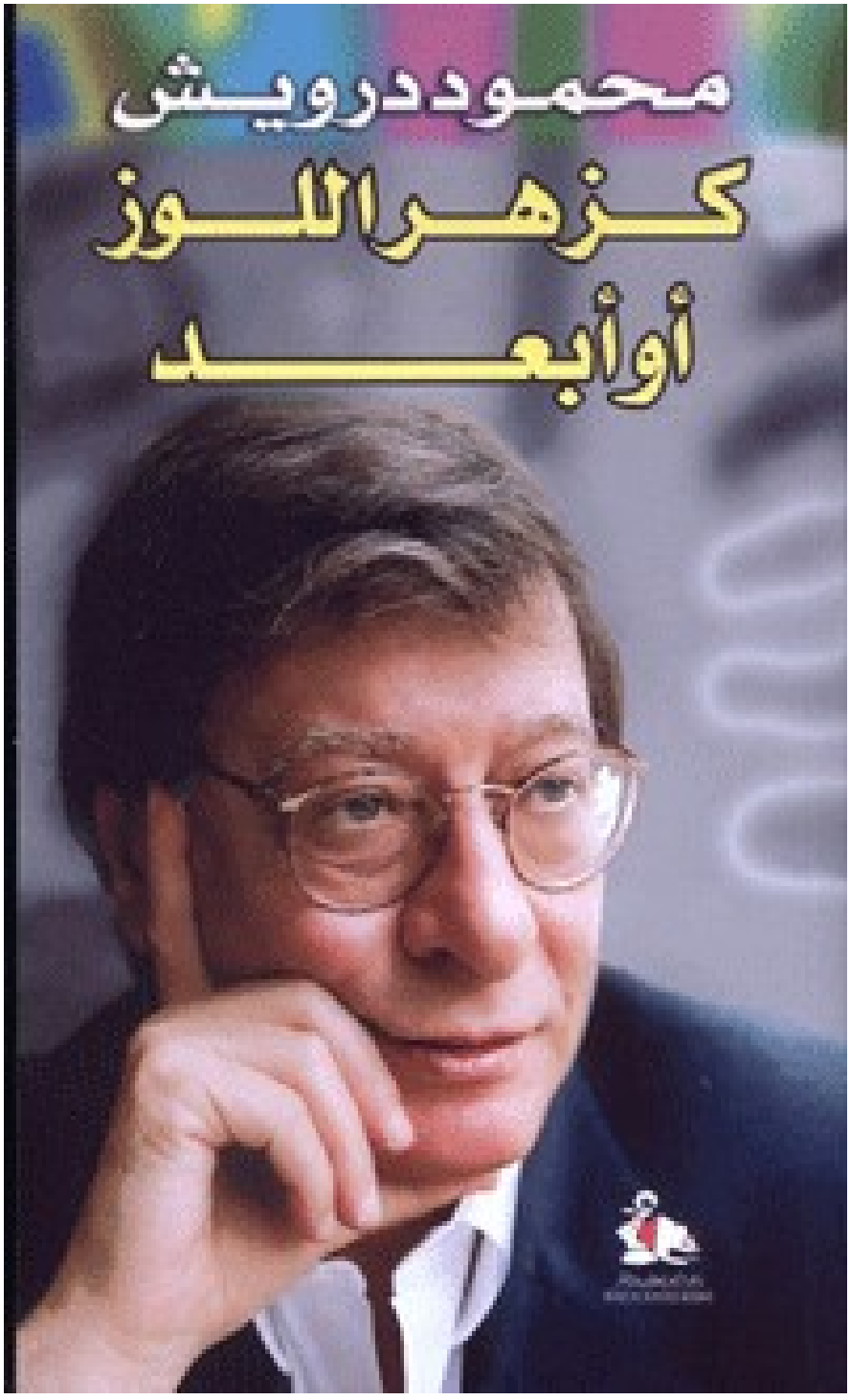

القصائد :

أنت

1- فكر بغيرك
2- الآن في المنفى
3- حين تطيل التأمل
4- إن مشيت على شارع
5- مقهى ، وانت مع الجريدة

هُو

6- هو لا غيره
7- لم ينتظر أحد
8- برتقالية
9- هنالك عرس
10- فراغ فسيح

أنا

11- هاي هي الكلمات
12- لوصف زهر اللوز
13- في البيت أجلس
14- أحب الخريف وظل المعاني
15- وأمّا الربيع
16- كنت أحبُّ الشتاء
17- كما لو فرحت
18- فرحاً بشيء ما
19- لا أعرف الشخص الغريب

هي

20- الجميلات هنّ الجميلات
21- كمقهى صغير هو الحب
22- يد تنشر الصحو
23- قال لها: ليتني كنت أصغر

24- لا أنام لأحلم
25- نسيت غيمة
26- هي / هو
27- هي لا تحبك انت
28- لم تأتِ
29- وأنت معي
30- الآن، بعدك

منفى (1)
31- نهار الثلاثاء والجو صاف

منفى (2)
32- ضباب كثيف على الجسر

منفى (3)
33- كوشم يد في معلقة الشاعر الجاهلي

منفى (4)
34- طباق
" أحسن الكلام ما .... قامت صورته بين نَظمٍ كأنه نثر، ونثرٍ كأنه نظم..."

أبو حيان التوحيدي
الإمتاع والمؤانسة
[الليلة الخامسة والعشرون]

أنت
فكر بغيرك

وأنت تعد فطورك فكر بغيرك
[لا تنس قوت الحمام]

وأنت تخوض حروبك فكر بغيرك
[لا تنس من يطلبون السلام]

وأنت تسدد فاتورة الماء فكر بغيرك

[لا تنس من يرضعون الغمام]

وأنت تعود إلى البيت، بيتك، فكر بغيرك
[لا تنس شعب الخيام]

وأنت تنام وتحصي الكواكب، فكر بغيرك
[ثمة من لم يجد حيزاً للمنام]

وأنت تحرر نفسك بالاستعارات، فكر بغيرك
[من فقدوا حقهم في الكلام]

وأنت تفكر بالآخرين البعيدين، فكر بنفسك
[قل: ليتني شمعة في الظلام]

الآن ... في المنفى

الآن، في المنفي ... نعم في البيت،
في الستين من عمر سريع
يوقدون الشمع لك

فافرح بأقصي ما استطعت من الهدوء،
لأن موتاً طائشاً ضل الطريق إليك
من فرط الزحام ... وأجَّلك

قمرٌ فضوليٌّ على الأطلال،
يضحك كالغبيّ
فلا تصدق أنه يدنو لكي يستقبلك
هو في وظيفته القديمة، مثل آذارَ
الجديد ... أعاد للأشجار أسماء الحنين
وأهملك

فلتحتفل مع أصدقائك بانكسار الكأس.
في الستين لن تجد الغد الباقي
لتحمله علي كتف النشيد... ويحملك

قل للحياة، كما يليق بشاعر متمرس:

سيري ببطء كالإناث الواثقات بسحرهن
وكيدهن. لكل واحدة نداءٌ ما خفيٌ :
هَيتَ لك / ما أجملك!

سيري ببطء، يا حياة، لكي أراك
بكامل النقصان حولي كم نسيتك في
خضمِّك باحثاً عني وعنك. وكلما أدركت
سراً منك قلت بقسوة: ما أجهلَك!

قل للغياب: نقصتني
وأنا حضرتَ ... لأكملَك!

حين تطيل التأمل

حين تطيل التأمل في وردةٍ
جرَحَت حائطاً، وتقول لنفسكَ:
لي أملٌ في الشفاء من الرمل /
يخضر قلبُكَ...

حين ترافق أنثى إلى السيرك
ذات نهار جميل كأيقونة ...
وتحلَّ كضيف على رقصة الخيل /
يحمر قلبُكَ...

حين تعُدُّ النجوم وتخطئ بعد
الثلاثة عشر، وتنعس كالطفل
في زرقة الليل /
يبيض قلبُكَ...

حين تسير ولا تجد الحلم
يمشي أمامك كالظل /
يصفر قلبُكَ...

إن مشيت على شارع

إن مشيت علي شارع لا يؤدي إلي هاوية
قل لمن يجمعون القمامة: شكراً!

إن رجعت إلي البيت، حياً، كما ترجع القافية
بلا خللٍ، قل لنفسك: شكراً!

إن توقعت شيئاً وخانك حدسك، فاذهب غداً
لتري أين كنت وقل للفراشة: شكراً!

إن صرخت بكل قواك، ورد عليك الصدى
(من هناك؟) فقل للهوية: شكراً!

إن نظرت إلي وردة دون أن توجعك
وفرحت بها، قل لقلبك: شكراً!

إن نهضت صباحاً، ولم تجد الآخرين معك
يفركون جفونك، قل للبصيرة: شكراً!

إن تذكرت حرفاً من اسمك واسم بلادك
كن ولداً طيباً!
ليقول لك الربُّ: شكراً!

مقهى، وأنت مع الجريدة

مقهى، وأنت مع الجريدة جالس
لا، لست وحدك. نصف كأسك فارغ
والشمس تملأ نصفها الثاني ...

ومن خلف الزجاج تري المشاة المسرعين
ولا تُرى [إحدي صفات الغيب تلك:
ترى ولكن لا تُرى]
كم أنت حر أيها المنسي في المقهى!
فلا أحدٌ يرى أثر الكمنجة فيك،
لا أحدٌ يحملقُ في حضورك أو غيابك،
أو يدقق في ضبابك إن نظرت
إلى فتاة وانكسرت أمامها..
كم أنت حر في إدارة شأنك الشخصي
في هذا الزحام بلا رقيب منك أو
من قارئ!
فاصنع بنفسك ما تشاء، إخلع
قميصك أو حذاءك إن أردت، فأنت
منسي وحر في خيالك، ليس لاسمك
أو لوجهك ههنا عمل ضروريٌ. تكون
كما تكون ... فلا صديق ولا عدو
يراقب هنا ذكرياتك /
فالتمس عذرا لمن تركتك في المقهى
لأنك لم تلاحظ قصَّة الشَّعر الجديدة
والفراشات التي رقصت علي غمازتيها /
والتمس عذراً لمن طلب اغتيالك،
ذات يوم، لا لشيء... بل لأنك لم
تمت يوم ارتطمت بنجمة.. وكتبت
أولى الأغنيات بحبرها...
مقهى، وأنت مع الجريدة جالسٌ
في الركن منسيّا، فلا أحد يهين
مزاجك الصافي،
ولا أحدٌ يفكر باغتيالك
كم انت منسيٌّ وحُرٌّ في خيالك!

هُو
هو لا غيره

هو، لا غيره، من ترجل عن نجمة
لم تصبه بأيّ أذى.
قال: أسطورتي لن تعيش طويلاً
ولا صورتي في مخيلة الناس /
فلتمتحني الحقيقة
قلت له: إن ظهرت انكسرت، فلا تنكسر
قال لي حُزْنُهُ النَّبَوي: إلي أين أذهب؟
قلت إلى نجمة غير مرئية
أو إلى الكهف/
قال يحاصرني واقع لا أجيد قراءته
قلت دوّن إذن، ذكرياتك عن نجمة بعُدت
وغد يتلكأ، واسأل خيالك: هل
كان يعلم أن طريقك هذا طويل؟
فقال: ولكنني لا أجيد الكتابة يا صاحبي!
فسألت: كذبت علينا إذاً؟
فأجاب: علي الحلم أن يرشد الحالمين
كما الوحي /
ثم تنهد: خذ بيدي أيها المستحيل!
وغاب كما تتمنى الأساطير /
لم ينتصر ليموت، ولم ينكسر ليعيش
فخذ بيدينا معاً، أيها المستحيل !

****

لم ينتظر أحداً

لم ينتظرأحداً،
ولم يشعر بنقص في الوجود،
أمامه نهر رمادي كمعطفه،
ونور الشمس يملأ قلبه بالصحو
والأشجار عالية /

ولم يشعر بنقص في المكان،
المقعد الخشبي، قهوته، وكأس الماء
والغرباء، والأشياء في المقهى
كما هي،
والجرائد ذاتها: أخبار أمس، وعالم
يطفو على القتلى كعادته /

ولم يشعر بحاجته إلى أمل ليؤنسه
كأن يخضوضر المجهول في الصحراء
أو يشتاق ذئبٌ ما إلى غيتارة،
لم ينتظر شيئاً، ولا حتى مفاجأةً،
فلن يقوى على التكرار... أعرفُ
آخر المشوار منذ الخطوة الأولى –
يقول لنفسه – لم أبتعد عن عالمٍ،
لم أقترب من عالمٍ
لم ينتظر أحداً.. ولم يشعر بنقص
في مشاعره. فما زال الخريف مضيفه الملكي،
يغريه بموسيقى تعيد إليه عصر النهضة
الذهبي ... والشعر المُقفى بالكواكب والمدى
لم ينتظر أحداً أمام النهر /
في اللا إنتظار أصاهر الدوريَّ
في اللا إنتظار أطون نهراً – قال –
لا أقسو على نفسي، ولا
أقسو على أحدٍ،
وأنجو من سؤال فادح:
ماذا تريد
ماذا تريد؟

برتقالية

برتقالية، تدخل الشمس في البحر /
والبرتقالة قنديل ماء على شجر بارد

برتقالية، تلد الشمس طفل الغروب الإلهيَّ /
والبرتقالة خائفة من فم جائع

برتقالية، تدخل الشمس في دورة الأبدية /
والبرتقالة تحظى بتمجيد قاتلها:
تلك الفاكهة مثل حبة الشمس
تقشرُ
باليد والفم، مبحوحة الطعم
ثرثارة العطر سكرى بسائلها...
لونها لا شبيه له غيرها،
لونها صفة الشمس في نومها
لونها طعمها: حامض سكري،
غني بعافية الضوء والفيتامين C..

وليس على الشعر من حرج إن
تلعثم في سرده، وانتبه
إلى خلل رائع في الشبه!

هنالك عرس

هنالك عرسٌ علي بعد بيتين منا،
فلا تغلقوا الباب... لا تحجبوا نزوة
الفرح الشاذ عنا. فإن ذبلت وردة
لا يحس الربيع بواجبه في البكاء
وإن صمت العندليب المريض أعار الكناري
حصته في الغناء. وإن وقعت نجمة
لا تصاب السماء بسوء...
هنالك عرس ،
فلا تغلقوا الباب في وجه هذا الهواء
المضمخ بالزنجبيل وخوخ العروس التي
تنضج الآن [تبكي وتضحك كالماء.
لا جرح في الماء. لا أثر لدم
سال في الليل]
قيل: قوي هو الحب كالموت!
قلت: ولكن شهوتنا للحياة
ولو خذلتنا البراهين، أقوى من
الحب والموت/
فلننه طقس جنازتنا كي نشارك
جيراننا في الغناء
الحياة بديهية .. وحقيقية كالهباء!

****

فراغ فسيح

فراغ فسيح. نحاس. عصافير حنطيةُ
اللون. صفصافةٌ. كسلٌ. أفقٌ مهملٌ
كالحكايا الكبيرة. أرض مجعدةُ الوجه.
صيف كثير التثاؤب كالكلب في ظل
زيتونةٍ يابسٍ. عَرَقٌ في الحجارة.
شمس عمودية. لا حياة ولا موت
حول المكان. جفافٌ كرائحة الضوء في
القمح. لا ماء في البئر والقلب.
لا حُبَّ في عمل الحُبّ... كالواجب الوطني
هو الحُبُّ. صحراء غير سياحية، غير
مرئية خلف هذا الجفاف. جفاف
كحرية السجناء بتنظيف أعلامهم من
براز الطيور، جفاف كحق النساء
بطاعة أزواجهن وهجر المضاجع. لا
عشب أخضر، لا عشب أصفر. لا
لون في مرض اللون. كل الجهات
رمادية
لا إنتظار إذاً
للبرابرة القادمين إلينا
غداة احتفالاتنا بالوطن

لوصف زهر اللوز

ولوصف زهر اللوز، لا موسوعةُ الأزهار

تسعفني، ولا القاموس يسعفني...
سيخطفني الكلام إلى أحابيل البلاغةِ /
والبلاغةُ تجرح المعنى وتمدح جرحه،
كمذكر يملي على الأنثى مشاعرها /
فكيف يشع زهر اللوز في لغتي أنا
وأنا الصدى؟
وهو الشفيف كضحكة مائية نبتت
على الأغصان من خَفَر الندى...
وهو الخفيفُ كجملةٍ بيضاءَ موسيقيةٍ...
وهو الضعيف كلمح خاطرةٍ
تُطل على أصابعنا
ونكتبها شدى...
وهو الكثيف كبيت شعر لا يدونُ
بالحروف /
لوصف زهر اللوز تلزمني زيارات إلى
اللاوعي ترشدني إلى أسماء عاطفة
معلقةً على الأشجار. ما اسمه؟
ما اسم هذا الشيء في شعرية اللاشيء ؟
يلزمني اختراق الجاذبية والكلام ،
لكي أحِسَّ بخفة الكلمات حين تصير
طيفا هامساً، فاكونها وتكونني
شفّافةً بيضاءَ /
لا وطنٌ ولا منفى هي الكلمات،
بل ولعُ البياض بوصف زهر اللوز /
لا ثلجٌ ولا قطنٌ / فما هو في
تعاليهِ على الأشياء والأسماء
لو نجح المؤلف في كتابة مقطع
في وصف زهر اللوز، لانحسر الضبابُ
عن التلال، وقال شعب كامل:
هذا هُوَ /
هذا كلامُ نشيدنا الوطنّي!

في البيت أجلس

في البيت أجلس، لا حزيناً لا سعيداً
لا أنا، أو لا أحد

صحف مبعثرة. وورد المزهرية لا يذكرني
بمن قطفته لي. فاليوم عطلتنا عن الذكرى،
وعطلة كل شيء... إنه يوم الأحد

يوم نرتب فيه مطبخنا وغرفة نومنا،
كل على حدة. ونسمع نشرة الأخبار
هادئة، فلا حرب تشن على بلد

ألامبراطور السعيد يداعب اليوم الكلاب،
ويشرب الشمبانيا في ملتقى نهدين من
عاج... ويسبح في الزبد

ألامبراطور الوحيد اليوم في قيلولة،
مثلي ومثلك، لا يفكر بالقيامة .. فهي
مُلك يمينه، هي الحقيقة والأبد!

كسلٌ خفيفُ الوزن يطهو قهوتي
والهال يصهل في الهواء وفي الجسد

وكأنني وحدي. أنا هو أو أنا الثاني
رآني واطمأنَّ على نهاري وابتعد

يوم الأحد
هو أول الأيام في التوراة، لكن
الزمان يغير العاداتِ: إذ يرتاح
ربُّ الحرب في يوم الأحد

في البيت أجلس، لا سعيداً لا حزيناً
بين بين. ولا أبالي إن علمت بأنني
حقاً أنا ... أو لا أحد!

أحب الخريف وظل المعاني

أحبُّ الخريف وظل المعاني، ويعجبني
في الخريف غموض خفيف شفيف المناديل،

كالشعر غِبَّ ولادته إذ "يَزغلِلُهُ"
وهج الليل أو عتمة الضوء. يحبو
ولا يجد الاسم للشيء /

يعجبني مطرٌ خَفِرٌ لا يبلل إلاَّ
البعيداتِ
[في مثل هذا الخريف تقاطع موكب عرسٍ
لنا مع إحدى الجنازات، فاحتفل الحيُّ
بالميت والميتُ بالحي]

يعجبني أن أرى ملكاً ينحني لاستعادة
لؤلؤة التاج من سمكٍ في البحيرة /

تعجبني في الخريف مشاعية اللون، لا
عرش للذهب المتواضع في ورق الشجر
المتواضع، مثل المساواة في ظمأ الحب /
يعجبني أنه هدنة بين جيشين ينتظران
المباراة ما بين شاعرتين تحبان فصل الخريف،
وتختلفان على وجه الاستعارة
ويعجبني في الخريف التواطؤ بين
الرؤى والعبارة!

وأما الربيع

وأما الربيع، فما يكتب الشعراء السكارى
إذ أفلحوا في التقاط الزمان السريع

بصنارة الكلمات... وعادوا إلى صحوهم سالمين.

قليلٌ من البرد في جَمرَةِ الجُلنار
يُخفف من لسعة النار في الاستعارة
[لو كنتُ أقربَ منكِ إليَّ
لقبلتُ نفسي]

قليلٌ من اللون في زهرة اللوز يحمي
السماوات من حجة الوثني الاخيرة
[مهما اختلفنا سندرك أن السعادة
ممكنة مثل هزَّة أرضٍ]

قليلٌ من الرقص في مهرجان الزواج الإباحي
بين النباتات سوف ينشِّط دورتنا الدموية
[لاتعرف البذرةُ الموتَ
مهما ابتعدنا]

ولا تخجل الأبدية من أحدٍ
حين تمنحُ عانتها للجميع
هنا... في الربيع السريع

كنت أحبّ الشتاء

كنت في ما مضى أنحني للشتاء احتراماً ،
وأصغي إلى جسدي. مطرٌ مطر كرسالة
حب تسيلُ إباحيَّةً من مجنون السماء.

شتاءٌ. نداءٌ. صدى جائع لاحتضان النساء.
هواءٌ يُرَى من بعيد على فرس تحمل
الغيم... بيضاءَ بيضاءَ. كنت أُحبُّ
الشتاء، وأمشي إلى موعدي فرحاً
مرحاً في الفضاء المبلل بالماء. كانت
فتاتي تنشفُ شعري القصير بشعر طويل
ترعرعَ في القمح والكستناء. ولا تكتفي
بالغناء: أنا والشتاء نحبُّكَ، فابقَ
إذا معنا! وتدفىءُ صدري على
شاني ظبيةٍ ساخنين. وكنت أُحبُّ
الشتاء، وأسمعه قطرة قطرة.
مطر، مطر كنداءٍ يُزفُ إلى العاشق:
أهطل على جسدي! ... لم يكن في
الشتاء بكاء يدلُّ على آخر العمر.
كان البدايةَ، كان الرجاءَ. فماذا
سأفعل، والعمر يسقط كالشَّعر،
ماذا سأفعل هذا الشتاء ؟

كما لو فرحت

كما لو فرحتُ: رجعت. ضغطتُ على
جرس الباب أكثر من مرةٍ، وانتظرتُ...
لعّلي تأخرتُ. لا أحدٌ يفتح الباب، لا
نأمةٌ في الممرِّ.
تذكرتُ أن مفاتيح بيتي معي، فاعتذرتُ

لنفسي: نسيتُك فادخل
دخلنا ... أنا الضيف في منزلي والمضيف.
نظرتُ إلى كل محتويات الفراغ، فلم أرَ
لي أثراً، ربما ... ربما لم أكن ههنا. لم
أجد شبهاً في المرايا. ففكرتُ: أين
أنا، وصرخت لأوقظ نفسي من الهذيان،
فلم أستطع... وانكسرتُ كصوتٍ تدحرج
فوق البلاط. وقلت: لماذا رجعت إذاً؟
واعتذرتُ لنفسي: نسيتُك فاخرج!
فلم أستطع. ومشيت إلى غرفة النوم،
فاندفع الحلم نحوي وعانقني سائلاً:
هل تغيرتَ؟ قلت تغيرتُ، فالموتُ
في البيت أفضلُ من دهسِ سيارةٍ
في الطريق إلى ساحة خالية !

فرحاً بشيء ما

فرحاً بشيء ما خفي، كنت أحتضن
الصباح بقوة الإنشاد، أمشي واثقاً
بخطاي، أمشي واثقا برؤاي. وحيٌ ما
يناديني: تعال! كأنه إيماءةٌ سحريةٌ ،
وكأنه حلمٌ ترجَّل كي يدربني على أسراره،
فأكون سيِّد نجمتي في الليل... معتمداً
على لغتي. أنا حُلمي أنا. أنا أمُّ أمي

في الرؤى، وأبو أبي، وابني أنا.

فرحا بشيء ما خفيٍّ، كان يحملني
على آلاته الوترية الإنشاد. يصقلني
ويصقلني كماس أميرة شرقية
ما لم يُغنّ الآن
في هذا الصباح
فلن يُنغَنّى

أعطنا، يا حب، فيضك كله لنخوض
حرب العاطفيّين الشريفة، فالمناخ ملائم،
والشمس تشحذ في الصباح سلاحنا،
يا حبّ! لا هدف لنا إلا الهزيمة في
حروبك... فانتصر أنت انتصر، واسمع
مديحك من ضحاياكَ: انتصر! سَلِمت
يداك! وعد إلينا خاسرين... وسالماً!

فرحا بشيءٍ ما خفيٍّ، كنتُ أمشي
حالماً بقصيدة زرقاء من سطرين، من
سطرين... عن فرح خفيف الوزن،
مرئيٍّ وسرّيّ معاً
من لا يحب الآن،
في هذا الصباح،
فلن يُحبّ!

لا أعرف الشخص الغريب

لا أعرف الشخص الغريب ولا مآثرهُ...
رأيت جنازةً فمشيت خلف النعش،
مثل الآخرين مطأطىء الرأس احتراماً. لم
أجد سببا لأسأل: من هو الشخص الغريب؟
وأين عاش، وكيف مات [فإن أسباب
الوفاة كثيرةٌ من بينها وجع الحياة].

سألتُ نفسي: هل يرانا أم يرى
عدماً ويأسف للنهاية؟ كنت أعلم أنه
لن يفتح النعش المُغطى بالبنفسج كي
يُودعنا وشكرنا ويهمس بالحقيقة
[ما الحقيقة؟]. ربما هو مثلنا في هذه
الساعات يطوي ظلَّه. لكنه هو وحده
الشخصُ الذي لم يبكِ في هذا الصباح،
ولم ير الموت المحلق فوقنا كالصقر...
[فالأحياء هم أبناء عم الموت، والموتى
نيام هادئون وهادئون وهادئون] ولم
أجد سبباً لأسأل: من هو الشخص
الغريب وما اسمه؟ [لا برق
يلمع في اسمه] والسائرون وراءه
عشرون شخصا ما عداي [أنا سواي]
وتُهتُ في قلبي على باب الكنيسة:
ربما هو كاتبٌ أو عاملٌ أو لاجئٌ
أو سارقٌ، أو قاتلٌ... لا فرق،
فالموتى سواسية أمام الموت.. لا يتكلمون
وربما لا يحلمون...
وقد تكون جنازةُ الشخص الغريب جنازتي
لكنَّ أمراً ما إلهياً يؤجلها
لأسباب عديدة
من بينها: خطأ كبير في القصيدة!

الجميلات هن الجميلات

الجميلات هنَّ الجميلاتُ
[نقش الكمنجات في الخاصرة]
الجميلات هنَّ الضعيفاتُ
[عرشٌ طفيفٌ بلا ذاكرة]
الجميلات هنَّ القويات ُ
[يأسٌ يضيء ولا يحترق]
الجميلات هنَّ الأميرات ُ
[ربَّاتُ وحيٍ قلق]

الجميلات هنَّ القريباتُ
[جاراتُ قوس قزح]
الجميلات هنَّ البعيداتُ
[مثل أغاني الفرح]
الجميلات هنَّ الفقيراتُ
[مثل الوصيفات في حضرة الملكة]
الجميلات هنَّ الطويلاتُ
[خالات نخل السماء]
الجميلات هنَّ القصيراتُ
[يُشرَبْنَ في كأس ماء]
الجميلات هنَّ الكبيراتُ
[مانجو مقشرةٌ ونبيذٌ معتق]
الجميلات هنَّ الصغيراتُ
[وَعْدُ غدٍ وبراعم زنبق]
الجميلات، كلّ الجميلاتُ، أنتِ
إذا ما اجتمعن ليخترن لي أنبلَ القاتلات !

كمقهى صغير هو الحبّ

كمقهى صغير على شارع الغرباء –
هو الحُبُّ... يفتح أبوابه للجميع.
كمقهي يزيد وينقُص وفق المناخ:
إذا هطل المطرُ ازداد رُوَّاده،
وإذا اعتدل الجوُّ قلُّوا وملُّوا..
أنا ههنا – يا غريبةُ – في الركن أجلس
[ما لون عينيكِ؟ ما اسمك؟ كيف
اناديك حين تمرين بي، وانا جالس
في انتظاركِ؟]

مقهى صغير هو الحبُّ. أطلب كأسي
نبيذ وأشرب نخبي ونخبك. أحمل
قبعتين وشمسية. إنها تمطر الآن.

تمطر أكثر من أي يوم، ولا تدخلين.
أقول لنفسي أخيراً: لعلَّ التي كنت
انتظرُ انتظرتني.. أو انتظرت رجلاً
آخرَ – انتظرتنا ولم تتعرف عليه / عليَّ،
وكانت تقول: أنا ههنا في انتظارك.
[ما ولن عينيكَ؟ أي نبيذٍ تحبُّ؟
وما اسمُكَ؟ كيف أناديكَ حين
تمرُّ أمامي]
كمقهى صغيرٍ هو الحُبّ...

يد تنشر الصحو

يد تنشر الصحو أبيض، تسهر،
تنهى وتأمر، تنأى وتدنو، وتقسو
وتحنو. يد تكسر اللازورد بإيماءةٍ،
وترقص خيلا على النهوند. يد تتعالى.
تثرثر حين يجف الكلام. يد تسكب
البرق في قدح الشاي، تحلب ثدي
السحابة، تستدرج الناي ((أنت صداي)).
يدٌ تتذكر ما سوف يحدث عما قليل.
يد تتلألأ في أنجمٍ خمسةٍ... تحرم
الليل من حقه في النعاس. يد تعصرُ
المفردات فترشح ماءً. يد تتحدث عن

هجرة الطير منها إليها. يد ترفع
المعنويات في الكلمات، يد تأمر
الجيش بالنوم في الثكنات. يدٌ تتحرشُ
بالموجِ في جسدي. يدها همسة تلمسُ
الأوجَ: خذني... هنا الآن ... خذني !

قال لها:
ليتني كنت أصغر

قال لها: ليتني كنت أصغر...
قالت له: سوف أكبر ليلاً كرائحة
الياسمينة في الصيف
ثم أضافت: وأنت ستصغر حين
تنام، فكل النيام صغارٌ، واما أنا
فسأسهر حتى الصباح ليسودَّ ما تحت
عينيَّ. خيطان من تعب متقن يكفيان
لأبدو أكبر. أعصر ليمونة فوق
بطني لأخي طعم الحليب ورائحة القطن.
أفرك نهدي بالملح والزنجبيل فينفر نهدايَ
أكثر /
قال لها: ليس في القلب متسع

للحديقة يا بنت... لا وقت في جسدي
لغدٍ... فاكبري بهدوءٍ وبطءٍ
فقالت له: لا نصيحةَ في الحب. خذني
لأكبرَ! خذي لتصغرَ
قال لها: عندما تكبرين غداً ستقولين:
يا ليتني كُنتُ أصغر
قالت له: شهوتي مثل فاكهةٍ لا
تؤجَّلُ... لا وقت في جسدي لانتظار
غدي!

لا أنام لأحلم

لا أنام لأحلم – قالت له
بل أنام لأنساكَ. ما أطيب النوم وحدي
بلا صخب في الحرير، ابتعد لأراكَ
وحيداً هناك، تفكّر بي حين أنساكَ /
لا شيئ يوجعني في غيابكَ
لا الليل يخمش صدري ولا شفتاكَ ...
أنام على جسدي كاملاً كاملا
لا شريك له،
لا يداك تشقان ثوبي، ولا قدماكَ
تدقان قلبي كبندقةٍ عندما تغلق الباب /
لا شيء ينقصني في غيابك:
نهدايَ لي. سُرَّتي. نَمَشي. شامتي،
ويدايَ وساقايَ لي. كُلُّ ما فيَّ لي
ولك الصُّورُ المشتهاةُ، فخذها

لتؤنس منفاكَ، وارفع رؤاك كنخبٍ
أخير. وقل إن أردت: هواكِ هلاك.

وأمَّا أنا، فسأصغي إلى جسدي
بهدوء الطبيبة: لاشيء، لاشيء
يُوجعني في الغياب سوى عُزلة الكون!

نسيَت غيمةٌ في السرير

نسيَت غيمةٌ في السرير. على عجلٍ
ودَّعتني وقالت: سأنساك. لكنها
نسيت غيمة في السرير. فغطيتُها بالحرير
وقلتُ لها: لا تطيري ولا تتبعيها.
ستأتي إليكِ.
[وكانت عصافيرُ زرقاءُ، حمراءُ،
صفراءُ ترتشف الماء من غيمةٍ
تتباطأ حين تطل على كتفيها]
ستُدرك حين تعود إلى بيتها، دون
حاشيةٍ من عصافيرَ، أنَّ المناخ تغيّر
في ساحل الكتفين، وأن السحاب تبخر/
عندئذٍ تتذكرُ ما نسيت: غيمة في
سريري، فترجع كي تستعيد تقاليدها
الملكية في غيمة ...
فشمَتُّ بها وابتسمتُ.

وحين دخلتُ سريري لأرقد في
الاستعارة بَلّلني الماء

هي / هو

هِيَ: هل عرفتَ الحب يوماً؟
هُوَ: عندما يأتي الشتاء يمسُّني
شغفٌ بشيء غائب، أضفي عليه
الاسمَ، أي اسمٍ، أنسى...
هي: ماالذي تنساه؟ قُل!
هو: رعشة الحُمَّى، وما أهذي به
تحت الشراشف حين أشهق: دَثِّريني
دثِّريني!
هي: ليس حُباً ما تقول
هو: ليس حباً ما أقول
هي: هل شعرتَ برغبة في أن تعيش
الموت في حضن إمرأة؟
هو: كلما اكتمل الغيابُ حضرتُ...
وانكسر البعيد، فعانق الموتُ الحياة
وعانَقتهُ... كعاشقين
هي: ثم ماذا؟
هو: ثم ماذا؟

هي: واتحَّدت بها، فلم تعرف يديها
من يديك وأنتما تتبخران كغيمةٍ زرقاءَ
لا تَتَبيَّنان أأنتما جسدان... أم طيفان
أم؟
هو: من هي الأنثى – مجازُ الأرض
فينا؟ مّن هو الذَّكرُ – السماء؟
هي: هكذا ابتدأ أغاني الحبّ. أنت إذن
عرفتَ الحب يوماً!
هو: كلما اكتمل الحضورُ ودُجِّن المجهول...
غبتُ
هي: إنه فصل الشتاء، ورُبَّما
أصبحتُ ماضيكَ المفضل في الشتاء
هو: ربما... فإلى اللقاء
هي: ربما.. فإلى اللقاء!

هي لا تحبك أنت

هي لا تحبك أنت
يعجبها مجازك
انت شاعرها
وهذا كل ما في الأمر /

يعجبها اندفاع النهر في الإيقاع
كن نهراً لتعجبها!
ويعجبها جماع البرق والأصوات
قافيةً...
تُسيلُ لعاب نهديها
على حرفٍ
فكن ألفاً ... لتعجبها!

ويعجبها ارتفاع الشيء
من شيء إلى ضوء
ومن ضوءٍ إلى جرسٍ

ومن جرسٍ إلى حِسٍّ

ويعجبها صرع مسائها مع صدرها:
[عذَّبتني يا حب
يا نهراً يصبُّ مجونه الوحشي
خارج غرفتي...
يا حُبُّ! إن لم تُدمِني شبقاً
قتلتك]

كن ملاكاً، لا ليعجبها مجازك
بل لتقتلك انتقاماً من أنوثتها
ومن شرَك المجاز ... لعلها
صارت تحبك أنت مذ أدخلتها
في اللازورد، وصرت أنت سواك
في أعلى أعاليها هناك...
هناك صار الأمر ملتبساً
على الأبراج
بين الحوت والعذراء...

لم تأتِ

لم تأتِ. قلتُ: ولن .. إذاً
سأعيد ترتيب المساء بما يليق بخيبتي
وغيابها:
أطفأت نار شموعها،
أشعلت نور الكهرباء،
شربت كأس نبيذها وكسرتهُ،
أبدلتُ موسيقى الكمنجات السريعة
بالأغاني الفارسية.
قلت: لن تأتي. سأنضو ربطةَ
العنق الأنيقة [هكذا أرتاح أكثر]
أرتدي بيجامة زرقاء. أمشي حافياً
لو شئتُ. أجلس بارتخاء القرفصاء
على أريكتها، فأنساها
وأنسى كل أشياء الغياب /
أعدتُ ما أعددتُ من أدوات حفلتنا

إلى أدراجها. وفتحتُ كل نوافذي وستائري.
لاسر في جسدي أمام الليل إلاّ
ما انتظرتُ وما خسرتُ...
سخرتُ من هَوَسي بتنظيف الهواء لأجلها
[عطرته برذاذ ماء الورد والليمون]
لن تأتي ... سأنقل نبتة الأوركيد
من جهة اليمين إلى اليسار لكي أعاقبها
على نسيانها...
غطيتُ مرآة الجدار بمعطفٍ كي لا أرى
إشعاع صورتها ... فأندم /
قلتُ: أنسى ما اقتبستُ لها
من الغزل القديم، لأنها لا تستحقُّ
قصيدةً حتى لو مسروقةً...
ونسيتُها، وأكلتُ وجبتي السريعة واقفاً
وقرأتُ فصلاً من كتاب مدرسيّ
عن كواكبنا البعيدة
وكتبتُ، كي أنسى إساءتها، قصيدة
هذي القصيدة!

الآن بعدك

الآن، بعدكِ... عند قافية مناسبةٍ
ومنفى، تُصلح الأشجارُ وقفتها وتضحك.
إنه صيف الخريف... كعُطلةٍ في غير
موعدها، كثقبٍ في الزمان، وكانقطاع
في نشيدِ

صيف الخريف تَلَفُّتُ الأيام صوب حديقةٍ
خضراءَ لم تنضج فواكهُها، وصوبَ حكايةٍ
لم تكتمل: ما زال فينا نورسان يُحلّقان
من البعيد إلى البعيد

الشمس تضحكُ في الشوراع، والنساءُ
النازلاتُ من الأسِرَّة، ضاحكاتٍ ضاحكاتٍ،
يغتسلن بشمسهنَّ الداخلية، عارياتٍ عارياتٍ.
إنه صيف الخريف يجيء من وقت إضافيٍّ

جديد.

صيف الخريف يشدُّوني ويشُدُّكِ: انتظرا!
لعل نهاية أخرى وأجمل في انتظاركما أمام
محطة المترو. لعل بداية دخلت إلى
المقهى ولم تخرج وراءكما. لعل خطابَ
حبّ ما تأخر في البريد.

الآن، بعدك... عند قافية ملائمة
ومنفى... تُصلح الأشجارُ وقفتها وتضحك.
أشتهيك وأشتهيك وأنت تغتسلين،
عن بعدٍ، بشمسك. إنه صيف الخريف
كعطلة في غير موعدها. سنعلم أنه
فصلٌ يدافع عن ضرورته، وعن حُبّ
خرافيّ... سعيدِ

الشمس تضحكُ من حماقتنا وتضحكُ،
لن أعود ولن تعودي!

منفى (1)
نهار الثلاثاء والجوُّ صافٍ

نهار الثلاثاء والجو صافٍ، أسيرُ
على شارع جانبيّ مغطّى بسقف من
الكستناء... أسير خفيفاً خفيفاً كأني
تبخرتُ من جسدي، وكأني على موعد
مع إحدى القصائد. أنظر في ساعتي
شارداً. أتصفحُ أوراق غيم بعيد
تدوِّنُ فيه السماءُ خواطر عليا، أقلّبُ
أحوال قلبي على شجر الجوز: خالٍ
من الكهرباء ككوخ صغير على شاطئ
البحر. أسرَعَ، أبطأ، أسرعَ أمشي.
أحدق في اللافتات على الجانبين...
ولا أحفظ الكلمات. أدندن لحناً
بطيئا كما يفعل العاطلون عن العمل:
"النهر كالمهر يجري إلى حتفه / البحر
والطيرُ تختطف الحبَّ من كتف النهر".

أهجس، أهمس في السر: عِش
غدك الآن! مهما حييتَ فلن تبلغ
الغدَ... لا أرض للغد، واحلم
ببطء، فمهما حلمت ستدرك أن
الفراشة لم تحترق لتضيئك /

أمشي خفيفاً خفيفاً. وأنظر حولي
لعلي أرى شبهاً بين أوصاف نفسي
وصفصاف هذا الفضاء فلا أتبيّن
شيئا يشير إليَّ

]

...

[

لا أرض ضيقة كأصيص الورود
كأرضك أنت... ولا أرض واسعة
كالكتاب كأرضك أنت.. ورؤياك
منفاك في عالم لا هوية للظل
فيه، ولا جاذبية /

تمشي كأنك غيرك /

لو أستطيع الحديث إلى أحد في
الطريق لقلتُ: خصوصيتي هي ما
لا يدلُّ عليَّ، وما لا يسمى
من الموت حلماً، ولا شيء أكثر /
لو أستطيع الحديث إلى امرأة
في الطريق لقلتُ: خصوصيتي لا
تثير انتباهاً: تكلُّسُ بعض الشرايين
في القدمين، ولا شيء أكثر، فامشي
الهوينى معي مثل مشي السحابة
"لا هي ريثٌ... ولا عجل" ...

لو أستطيع الحديث إلى شبح الموت
خلف سياج الأضاليا لقلتُ: ولدنا
معا توأمين، أخي أنت يا قاتلي،
يا مهندس دربي على هذه الأرض...

أمي وأمك، فارمِ سلاحكَ /

لو أستطيع الحديث إلى الحبِّ، بعد
الغداء، لقلت له: حين كنا
فتيَّين كنا لهاث يدين على زغب
المفردات، وكنتَ قليل الصفات، كثير
الحراك، وأوضحَ: فالوجه وجهُ
ملاكٍ يجيء من النوم، والجسم
كبشٌ بقوة حمى. وكنت تُسمَّى
كما أنت "حباً" فيُغمى علينا
ويُغمى على الليل /

أمشي خفيفاً، فأكبر عشر دقائق،
عشرين، ستين... أمشي وتنقص
قيَّ الحياةُ على مهلها كسعال خفيف.
أفكر: ماذا لو أني تباطأتُ، ماذا
لو أني توقفتُ؟ هل أوقف الوقت؟
هل أربكك الموت؟ أسخر من فكرتي،
ثم أسأل نفسي: إلى أين تمشين
أيتها المطمئنة مثل النعامة؟ امشي
كأن الحياة تعدِّل نقصانها بعد حين.
ولا أتلفت خلفي، فلن أستطيع
الرجوع إلى أي شيء، ولا أستطيع
التماهي

ولو أستطيع الحديث إلى الربِّ قلت:
إلهي إلهي! لماذا تخليتَ عني؟
ولست سوى ظل ظلك في الأرض،
كيف تخلَّيت عني، وأوقعتني في
فخاخ السؤال: لماذا خلقت البعوض
إلهي إلهي؟

وأمشي بلا موعدٍ، خالياً من
وعود غدي. أتذكر أني نسيتُ،
وأنسى كما أتذكرُ:

أنسى غراباً على غصن زيتونةٍ
أتذكر يقعة زيت على الثوب

أنسى نداء الغزال إلى زوجه
أتذكر خط النمال على الرمل

أنسى حنيني إلى نجمة وقعت من يدي
أتذكر فروَ الثعالب

أنسى الطريق القديم إلى بيتنا
أتذكر عاطفة تشبه المندرينة

أنسى الكلام الذي قلته
أتذكر ما لم أقل بعد

أنسى روايات جدي وسيفا على حائط
أتذكر خوفي من النوم

أنسى شفاه الفتاة التي امتلأت عنباً
أتذكر رائحة الخس بين الأصابع

أنسى البيوت التي دونت سيرتي
أتذكر رقم الهوية

أنسى حوادث كبرى وهزة أرض مدمرة
أتذكر تبغ أبي في الخزانة

أنسى دروب الرحيل إلى عدم ناقص
أتذكر ضوء الكواكب في أطلس البدو

أنسى أزيز الرصاص على قرية أقفرت
أتذكر صوت الجداجد في الحرش

أنسى كما أتذكر، أو أتذكر أني نسيت

[ولكنني
أتذكر
هذا النهار،
نهار الثلاثاء
والجو صافٍ]

وأمشي على شارع لا يؤدي إلى
هدف . ربما أرشدتني خطاي إلى
مقعد شاغر في الحديقة، أو
أرشدتني إلى فكرة عن ضياع الحقيقة
بين الجماليّ والواقعي. سأجلس وحدي
كأني على موعد مع إحدى نساء
الخيال. تخيلتُ أني انتظرت طويلاً،
وأني ضجرت من الانتظار، وأني انفجرت:
لماذا تأخرتِ؟ تكذب: كان الزحام
شديداً على الجسر. فاهدأ. سأهدأ
حين تداعب شعري. سأشعر أن
الحديقة غرفتنا والظلال ستائرُ

[إن لم يغن الكناريُّ
يا صاحبي لك... فاعلم
بأنك أفرطت في النوم
إن لم يغن الكناري]

وتسأل: ماذا تقول؟
أقول لها: لم يغن الكناري لي
هل تذكرتني يا غريبة؟ هل أشبه
الشاعر الرعوي القديم الذي توجته
النجوم مليكا على الليل، ثم تنازل
عن عرشه حين أرسلته راعياً
للغيوم؟ تقول: وهل يشبه اليوم أمس،
كأنك أنت...

[هناك، على المقعد الخشبي المقابل
بنتٌ يُفتِّتُها الانتظار
وتبكي،
وتشرب كأس عصير...
تُلمّع بلّور قلبي الصغير
وتحمل عني عواطف هذا النهار]

وأسألها: كيف جئتِ؟
تقول: أتيت مصادفة. كنت أمشي
على شارع لا يؤدي إلى هدف.
قلت: أمشي كأني على موعد...
ربما أرشدتني خطاي إلى مقعد شاغر

في الحديقة، أو أرشدتني إلى فكرة
عن ضياع الحقيقة بين الخيالي والواقعي.
وهل أنت تذكرني يا غريب؟
وهل أشبه امرأة الأمس، تلك الصغيرة،
ذات الضفيرة، والأغنيات القصيرة
عن حبنا بعد نوم طويل
أقول: كأنكِ أنت..

[هناك فتى يدخل الآن
باب الحديقة،
يحمل خمساً وعشرين زنبقة
للفتاة التي انتظرته
ويحمل عني فتوة هذا النهار]

صغير هو القلب... قلبي
كبير هو الحب... حبي
يسافر في الريح، يهبط
يفرط رمانةً، ثم يسقط
في تيه عينين لوزيتين
ويصعد من فجر غمَّازتين
وينسى طريق الرجوع إلى بيته واسمه

صغير هو القلب... قلبي
كبير هو الحب /..

هل كان الذي كنتهُ – هو؟
أم كان ذاك الذي لم أكنه –أنا؟

تقول: لماذا تحك الغيوم أعالي الشجر؟
أقول: لتلتصق الساق بالساق
تحت رذاذ المطر

تقول: لماذا تحملق بي قطة خائفة؟
أقول: لكي توقفني العاصفة

تقول: لماذا يحنُّ الغريب إلى أمسه
أقول: ليعتمد الشعر فيه على نفسه

تقول: لماذا تصير السماء رمادية اللون
عند العشية؟
أقول: لأنك لم تسكبي الماء في المزهرية

تقول: لماذا تبالغ في السخرية؟
أقول: لكي تأكل الأغنية
قليلا من الخبز ما بين حين وحين

تقول: لماذا نحب، فنمشي على طرق خالية؟
أقول: لنقهر الموت كثيرا بموت أقل
وننجو من الهاوية

تقول: لماذا حلمت بأني رأيت سنونوة في يدي؟
أقول: لأنك في حاجة لأحد

تقول: لماذا تذكرني بغد لا أراه
معك؟
أقول: لأنك إحدى صفات الأبد

تقول: ستمضي إلى نفق الليل وحدك
بعدي
أقول: سأمضي إلى نفق الليل بعدك
وحدي

.. وأمشي ثقيلاً ثقيلاً، كأني على موعد
مع إحدى الخسارات. أمشي وبي شاعر
يستعد لراحته الأبدية في ليل لندن.
يا صاحبي في الطريق إلى الشام! لم نبلغ
الشام بعد، تمهّل تمهّل، ولا تجعل
الياسمينة ثكلى، ولا تمتحني، بمرثية:
كيف أحمل عبء القصيدة
عنك وعني؟

قصيدة من لا يحبون وصف الضباب
قصيدته
معطف الغيم فوق الكنيسة
معطفه
سر قلبين يلتجئان إلى بردى
سرّه

نخلة السومرية، أم الأناشيد
نخلته
ومفاتيح قرطبة في جنوب الضباب
مفاتيحه
لايذيل أشعاره باسمه
فالفتاة الصغيرة تعرفه
إن أحست بوخز الدبابيس
والملح في دمها.
هو، مثلي، يطارده قلبُهُ
وأنا، مثله، لا أذيل باسمي الوصية
فالريح تعرف عنوان أهلي الجديد
على سفح هاوية في جنوب البعيد
وداعاً، صديقي، وداعاً ولّم على الشام /

لستُ فتياً لأحمل نفسي
على الكلمات، ولست فتياً
لأكمل هذي القصيدة /

أمشي مع الضاد في الليل –
تلك خصوصيتي اللغوية – أمشي
مع الليل في الضاد كهلاً يحثّ
حصاناً عجوزاً على الطيران إلى برج
إيفل. يا لغتي ساعديني على الاقتباس
لأحتضن الكون. في داخلي شُرفة لا
يمرّ بها أحدٌ للتحية. في خارجي عالم
لا يرد التحية. يا لغتي! هل أكون
أنا ما تكونين؟ أم أنت – يا لغتي –
ما أكون؟ ويا لغتي دربيني على
الاندماج الزفافي بين حروف الهجاء
وأعضاء جسمي – أكن سيداً لا صدى.
دثّريني بصوفك يا لغتي، ساعديني
على الاختلاف لكي أبلغ الائتلاف. لديني
ألدك. أنا ابنك حينا، وحينا أبوك
وأمك. إن كنتِ كنتُ، وإن كنتُ
كنتِ. وسمّي الزمان الجديد بأسمائه
الأجنبية يا لغتي، واستضيفي الغريب
البعيد ونثرَ الحياة البسيط لينضج
شعري. فمن – إن نطقتُ بما ليس
شعراً – سيفهمني؟ من يكلمني
عن حنينٍ خفيٍّ إلى زمن ضائع إن

نطقتُ بما ليس شعراً؟ ومن – إن
نطقت بما ليس شعراً – سيعرف
أرض الغريب؟

سجا الليل، واكتمل الليل، فاستيقظَت
زهرةٌ للتنفس عند سياج الحديقة.

قلتُ: سأشهد أني ما زلت حياً،
ولو من بعيد. وأني حلمت بأن الذي
كان يحلم، مثلي، أنا لا سواي...
وكان نهاري، نهار الثلاثاء رحباً طويلاً،
وليل وجيزاً كفصلٍ قصيرٍ أضيف
إلى المسرحية بعد نزول الستارة. لكنني
لن أسيء إلى أحد...
إن أضفتُ: وكان نهاراً جميلاً،
كقصةِ حبٍّ حقيقيةٍ في قطار سريع

[إذا لم يغنّ الكناري
يا صاحبي،
لا تلم غير نفسك.
إن لم يغن الكناري
يا صاحبي لك
غنِّ له أنت ... غَنِّ له]

منفى
ضباب كثيف علي الجسر
قال لي صاحبي، والضباب كثيف
علي الجسر:
هل يعْرَف الشيء من ضدِّهِ؟
قلت: في الفجر يتَّضح الأمر
قال: وليس هنالك وقت أشدّ
التباسا من الفجر،
فاترك خيالك للنهر/
في زرقة الفجر يعْدَم في
باحة السجن، أو قرب حرش الصنوبر
شابٌ تفاءل بالنصر/
في زرقة الفجر ترسم رائحة الخبز
خارطة للحياة ربيعيَّة الصيف/

في زرقة الفجر يستيقظ الحالمون
خفافا ويمشون في ماء أحلامهم
مرحين
إلي أين يأخذنا الفجر، والفجر
جِسْر، إلي أين يأخذنا؟
قال لي صاحبي: لا أريد مكانا
لأدفنَ فيه. أريد مكانا لاحيا،
وألعنَه إن أردت.
فقلت له والمكان يمرّ كإيماءة
بيننا: ما المكان؟
فقال: عثور الحواسِّ علي موطئ
للبديهة،
ثم تنهد:

يا شارعا ضيقا كان يحملني
في المساء الفسيح إلي بيتها
في ضواحي السكينةْ
أما زلت تحفظ قلبيَ
عن ظهر قلب،
وتنسي دخان المدينة؟

قلت له: لا تراهن علي الواقعيِّ
فلن تجد الشيء حيا كصورته في
انتظارك....
إنَّ الزمان يدجِّن حتى الجبال
فتصبح أعلي، وتصبح أوطأ مما عرفت.
إلي أين يأخذنا الجسر؟
قال: وهل كان هذا الطريق
طويلا إلي الجسر؟
قلت: وهل كان هذا الضباب
كثيفا علي دَرَج الفجر؟
كم سنة كنْتَ تشبهني؟
قال: كم سَنَة كنْتَ أنتَ أنا؟
قلت: لا أتذكَّر
قال: ولا أتذكر أني تذكرت
غير الطريق

وغنَّي:
علي الجسر، في بلد آخر
يعلن الساكسفون انتهاءَ الشتاء

علي الجسر يعترف الغرباء
بأخطائهم، عندما لايشاركهم
أحَد في الغناء

وقلت له: منذ كم سنة نَسْتَحِثّ
الحمامة: طيري إلي سدرة المنتهي،
تحت شباكنا، ياحمامة طيري طيري
فقال: كأني نسيت شعوري
وقال: وعما قليل نقلِّد أصواتنا
حين كنا صغيرين. نلثغ بالسين واللام.
نغفو كزوجي يمام علي كرمة ترتدي
البيت. عما قليل تطلّ علينا الحياة
بديهيَّة. فالجبال علي حالها، خلف
صورتها في مخيلتي. والسماء القديمة
صافية اللون والذهن، إن لم
يَخنِّي الخيال، تظلّ علي حالها
مثل صورتها في مخيِّلتي، والهواء
الشهيّ النقيّ البهيّ يظل علي
حاله في انتظاري.. يظلّ علي حاله.

قلت: ياصاحبي، أفرَغتني الطريق
الطويلة من جسدي. لا أحس بصلصاله.
لا أحسّ بأحواله. كلما سرت طرت.
خطايَ رؤاي. وأما "أنا" ي، فقد
لَوَّحَتْ من بعيد:

"إذا كان دربكَ هذا
طويلا
فلي عَمَلّ في الأساطير"

أيدي إلهيَّة دَرَّبتنا علي حفر أسمائنا
في فهارس صفصافة. لم نكنِ واضحين
ولاغامضين. ولكنَّ أسلوبنا في
عبور الشوارع من زمنٍ نحو آخرَ
كان يثير التساؤل: مَنْ هؤلاءِ
الذين إذا شاهدوا نخلة وقفوا
صامتين، وخرّوا علي ظلّها ساجدين؟
ومن هؤلاء الذين إذا ضحكوا أزعجوا
الآخرين؟

علي الجسر، في بلد آخر، قال لي
يعْرَف الغرباء من النَّظَر المتقطِّع في الماء،
أو يعْرَفون من الانطواء وتأتأة المشي.
فابن البلاد يسير إلي هدف واضح
مستقيمَ الخطي. والغريب يدور علي
نفسه حائرا

قال لي: كلّ جسري لقاء... علي
الجسر أدخل في خارجي، وأسلم
قلبي إلي نَحْلَة أو سنونوَّة
قلت: ليس تماما. علي الجسر أمشي
إلي داخلي، وأروِّض نفسي علي
الانتباه إلي أمرها. كلّ جسري فصام،
فلا أنت أنت كما كنت قبل قليل،
ولا الكائنات هي الذكريات

أنا اثنان في واحد
أم أنا
واحد يتشظي إلي اثنين
ياجسْر يا جسر
أيٌّ الشَّتِيتَيْنِ منا أنا؟

مشينا علي الجسر عشرين عاما
مشينا علي الجسر عشرين مترا
ذهابا إيابا،

وقلت: ولم يبقَ إلا القليل
وقال: ولم يبقَ إلا القليل
وقلنا معا، وعلي حدة، حالمين:

سأمشي خفيفا، خطايَ علي الريح
قوس تدغدغ أرضَ الكمان
سأسمع نبض دمي في الحصي
وعروق المكان

سأسند رأسي إلي جذع خَرّوبة،
هي أمّي، ولو أنْكَرَتْني
سأغفو قليلا، ويحملني طائران صغيران
أعلي وأعلي... إلي نجمة شرِّدَتْني

سأوقظ روحي علي وَجَع سابق
قادم، كالرسالة، من شرفة الذاكرةْ
سأهتف: مازلت حيًا، لأنيَ
أشعر بالسهم يخترق الخاصرةْ

سأنظر نحو اليمين، إلي جهة الياسمين
هناك تعلَّمْت أول أغاني الجسدْ
سأنظر نحو اليسار، إلي جهة البحر
حيث تعلَّمت صَيْدَ الزَّبَدْ

سأكذب مثل المراهق: هذا الحليب
علي بنطلوني ثمَالة حلْم تحرَّش بي... وانتهي
سأنكر أني أقلِّد قيلولة الشاعر
الجاهليِّ الطويلة بين عيون المها

سأشرب من حَنَفيَّة ماء الحديقة حفنة
ماء. وأعطش كالماء شوقا إلي نفسِهِ
سأسأل أوّل عابر درب: أشاهدتَ
شخصا علي هيئة الطيف، مثلي، يفتِّش
عن أمسِه؟

سأحمل بيتي علي كتفيَّ... وأمشي
كما تفعل السلحفاة البطيئة
سأصطاد نسرا بمكنسة، ثم أسأل:
أين الخطيئة؟

سأبحث في الميثولوجيا وفي الأركيولوجيا
وفي كل جيم عن اسمي القديم
ستنحاز إحدي إلهات كَنْعَانَ لي، ثمَّ
تحلف بالبرق: هذا هو ابني اليتيم

سأثني علي امرأة أنجبتْ طفلة

في الأنابيب. لكنها لاتمتّ إليها بأيٍّ شَبَهْ
سأبكي علي رجل مات حين انتَبهْ

سأخذ سطر المَعَرِّيِّ ثم أعدِّله:
جَسَدي خرقة من تراب، فيا خائطَ
الكون خِطْني!
سأكتب: يا خالقَ الموت، دعني

قليلا... وشأني!

سأوقظ موتايَ: نحن سواسية أيها
النائمون، أما زلتم مثلنا تحلمون
بيوم القيامة؟
سأجمع ما بعثرته الرياح من الغَزَل
القرْطبيِّ، وأكمل طوْقَ الحمامة

سأختار من ذكرياتي الحميماتِ
وَصْفَ الملائم: رائحة الشرشف المتجعِّد
بعد الجِماع كرائحة العشب بعد المطرْ
سأشهد كيف سيخضرّ وجه الحجرْ

سيلسعني وَرْد آذارَ، حيث ولدت
لأوّل مَرَّهْ
ستحمل بي زهرة الجلَّنار، وأولَد منها
لآخر مَرَّهْ!

سأنأي عن الأمس، حين أعيد
له إرثه: الذاكرهْ
سأدنو من الغد حين أطارد قبَّرة

ماكرهْ
سأعلم أني تأخَّرْت عن موعدي

وسأعرف أنَّ غدي
مَرَّ، مَرَّ السحابةِ، منذ قليل،
ولم ينتظرني
سأعلم أن السماء ستمطر بعد قليل
عليَّ
وأنِّي
أسير علي الجسر

هل نطأ الآن أرض الحكاية؟ قد
لاتكون كما نتخيَّل "لا هي سَمْن
ولا عَسَل" والسماء رماديَّة اللون.
والفجر مازال أزرقَ ملتبسا. ما

هو الزمن الآن؟ جسر يطول
ويقصر.. فجر يطول ويمكر. ما

الزمن الآن؟

تغفو البلاد القديمة خلف قلاع
سياحيّة. والزمان يهاجر في نجمة
أحرقت فارسا عاطفيا. فيا أيها
النائمون علي إبر الذكريات! ألا
تشعرون بصوت الزلازل في حافر الظبي؟

قلت له: هل أصابتك حمَّي؟
فتابع كابوسه: أيها النائمون! ألا
تسمعون هسيس القيامة في حبة
الرمل؟
قلت له: هل تكلمني؟ أم تكلِّم
نفسك؟
قال: وصلت إلي آخر الحلم...
شاهدت نفسي عجوزا هناك،
وشاهدت قلبي يطارد كلبي هناك
وينبح... شاهدت غرفةَ نومي
تقَهْقِه: هل أنتَ حيٌّ؟ تعال
لأحمل عنك الهواء وعكازك الخشبيَّ
المرصَّع بالصدف المغربيِّ!! فكيف
أعيد البداية، ياصاحبي، من أنا؟
من أنا دون حلْم ورفقة أنثي؟

فقلت: نزور فتات الحياة، الحياة
كما هي، ولنتدرَّبْ علي حبِّ أشياء
كانت لنا، وعلي حبِّ أشياء ليست
لنا... ولنا إن نظرنا إليها معا من
علي كسقوط الثلوج علي جَبَلي
قد تكون الجبال علي حالها
والحقول علي حالها
والحياة بديهية ومشاعا،
فهل ندخل الآن أرض الحكاية يا
صاحبي؟
قال لي: لا أريد مكانا لأدفن فيه
أريد مكانا لأحيا، وألعنه لو أردت...

وحملق في الجسر: هذا هو الباب.
باب الحقيقة لانستطيع الدخول ولا
نستطيع الخروج

ولايعْرَف الشيء من شدِّهِ
ألممرات مغْلَقَة
والسماء رماديَّة الوجه ضدُّهِ

ويد الفجر ترفع سروال جنديِّةِ
عاليا عاليا...

وبقينا علي الجسر عشرين عاما
أكلنا الطعام المعلَّب عشرين عاما
لبسنا ثياب الفصول،
استمعنا إلي الأغنيات الجديدة،
جَيِّدةِ الصنع،
من ثكنات الجنود
تزوَّج أولادنا بأميرات منفي
وغيَّرن أسماءهم،
وتركنا مصائرنا لهواة الخسائر
في السينما.
وقرأنا علي الرمل آثارنا
لم نكن غامضين ولا واضحين

كصورة فجر كثير التثاؤبِ

قلت: أمازال يجرحك الجرح، يا
صاحبي؟
قال لي: لا أحسّ بشيء
فقد حوَّلت فكرتي جسدي دفترا للبراهين،
لا شيء يثبت أني أنا
غَيْر موت صريح علي الجسر،
أرنو إلي وردة في البعيد
فيشتعل الجمر
أرنو إلي مسقط الرأس، خلف البعيد
فيتسع القبر

قلت: تمهل ولاتَمتِ الآن. إنَّ الحياةَ
علي الجسر ممكنة. والمجاز فسيح المدي
هاهنا بَرْزَخ بين دنيا وآخرةِ
بين منفى وأرض مجاورة...
قال لي، والصقور تحلق من فوقنا:
خذِ اسمي رفيقا وحدِّثْه عني
وعش أنت حتي يعود بك الجسر

حيًا غدا
لاتقل: إنه مات، أو عاش
قرب الحياة سدي!
قل: أطلَّ علي نفسه من علي
ورأي نفسه ترتدي شجرا، واكتفي
بالتحيَّة:

إن كان هذا الطريق طويلا
فلي عَمَل في الأساطير

كنت وحيدا علي الجسر، في ذلك
اليوم، بعد اعتكاف المسيح علي
جبل في ضواحي أريحا.. وقبل القيامة.
أمشي ولا أستطيع الدخول ولا أستطيع
الخروج... أدور كزهرة عبَّاد شمس.
وفي الليل يوقظني صوت حارسة الليل
حين تغنِّي لصاحبها:

لاتَعِدْني بشيء
ولاتهدِني
وردة من أريحا!

ناقص قصيدتان ..